ثم دخلت سنة خمس وعشرين وست مئة ١٥٢

في دولة المستنصر بالله، ففي ثامن عشر صَفَر جاء منشور الولاية لداود من عَمِّه الكامل محمد بن أبي بكر بن أيوب، وكانت الفرنج ـ خذلهم الله ـ قد تحرَّكوا، وانبثُّوا ببلاد السَّاحل، لأن الهُدْنة كانت قد تَمَّت، وبقي المسلمون منهم في خوفٍ، فرأيتُ أنا في المنام ليلة الثلاثاء تاسع صفر كأنَّ عمرَ بنَ الخَطَّاب ـ رضي الله عنه ـ قد جاء للنُّصْرة، وعليه بُرْدٌ يمانٍ فَرَجيَّة مفتوحة، وقال لي: سنأمر مَنْ ينادي بالرَّحيل إلى السَّاحل. ووعد بأن يستخلف على الشَّام إذا عاد رجلاً شريفاً شجاعاً، فاستبشر النَّاسُ لهذه الرؤيا. فلما كان أواخر ربيع الآخر، وذلك في أيام عيدهم الذي بعد صيامهم أغار المسلمون على بلاد صور، فغنموا غنيمةً كثيرة من إبل وبَقَرٍ وغَنَمٍ مقدار ستة آلاف رأس، وغير ذلك، وخَرَجَ إليهم من الفرنج نحوٌ من مئتين، فكانوا بين قتيلٍ وأسير وغريق في البحر، وما نجا إلا قليلٌ، ومن جملة الأسرى ابن والي صور، وقيل: الوالي، ١٥٣
وقيل: خلَّصَتْه المراكب، وخُبِّرتُ أن بعد الوقعة خَرَجَ جماعة من الكُفَّار لأخذ قتلاهم، فأُخِذُوا.

وفي هذه السنة نَزَلَ العزيز عثمان بن أبي بكر بن أيوب على بعلبك ليأخذها، وفيها ابنُ عَمِّه الأمجد بهرامشاه بن فَرُّخشاه بن شاهنشاه بن أيوب، فأعان النَّاصرُ داود الأمجدَ على العزيز، وأمره بالرَّحيل عنها، فَرَحَلَ، واشتدَّ ضِغْنُه على النَّاصر. قالوا: فكاتَبَ العزيزُ الكاملَ، وحَثَّه على الإتيان إلى بلد دمشق ليتسلَّمه، وأوهمه أنه في يده، فجاء الكامل، وانضاف إليه العزيز، وجاءهم صاحِبُ حمص المجاهد أسد الدين شِيركُوه بن محمد بن شِيركُوه بن شاذي، وقد كانت له ضغينة على عيسى بنِ أبي بكر، لأنه كان نازل بلده حِمْص، وخَرَّب ما حولها ونهبه، فأراد استيفاء ما جَرَى على بلده بمحاصرة ولده، فحسَّنَ ذلك في رأي الكامل.

واستنجدَ النَّاصرُ بعمِّه الأشرف أبي الفتح موسى بن أبي بكر، فجاءه، وأكرمه غاية الإكرام؛ وذلك في أواخر رمضان، ثم رحل الأشرف إلى الكامل، واجتمع به بالقُدْس، فاتَّفَقَا على أخذ البلاد من داود بن عيسى، وأن دمشق تكون للأشرف، وانضاف إليهما من عَسْكر النَّاصرِ عَمُّه الصَّالح إسماعيل بن أبي بكر، وابنُ عمه شهابُ الدين محمود بن المغيث عمر بن أبي بكر بن أيوب، وجماعةٌ من الأمراء مثل: عز الدين أيدمر، والكريم الخِلاطي، وغيرهما. وجاء أخو الأشرف المظفر شهاب الدين غازي بن أبي بكر، واجتمع الجميعُ بأرضِ فِلَسْطين، وقد كان النَّاصر خَرَجَ لأجل لقاء عَمِّه الكامل وخدمته، وظن أن الأشرف عنده قد أصلح أمره، فوصَلَ إلى الغَوْر، وسمع باجتماع أعمامه عليه، وأنهم عازمون على القَبْضِ عليه، فرجع إلى دمشق، وأخذ في الاستعداد خوف الحصار، وسنذكر ما جرى من ذلك في سنة ستٍّ وعشرين[1].

وفي[2] هذه السنة في المحرَّم توفي جمالُ الدِّين عبد الرحيم بن علي بن شِيْث بن إسحاق، الكاتب[3] بدمشقَ.

ولد بأسنا من أعمال قوصِ سنة سبعٍ وخمسين وخمس مئة، ونشأ بقُوص، وتأدَّب فيها بفنون العلوم. كان ديِّناً، حَسَنَ النثرِ والنَّظْم، وتولَّى الدِّيوان ببلاد قوص، ثم بالإسكندرية، ثم ببيت المقدس، ثم بكتابة الإنشاء للملك المُعَظَّم عيسى، حكى عنه القوصي في «معجمه»[2].

---

(١) انظر ص١٠ من هذا الجزء.

(٢ ـ ٢) ما بينهما ليس في (ب).

(٣) له ترجمة في مرآة الزمان (وفيات ٦٢٥هـ)، التكملة للمنذري: ٣/٢١٧، الطالع السعيد: ٣٠٥ ـ ٣٠٨، مفرج الكروب: ٤/٢١٥ ـ ٢١٧، تاريخ الإسلام (ت ٣٠٦، وفيات ٦٢٥هـ)، سير أعلام النبلاء: ٢٢/٣٠١ ـ ٣٠٢، فوات الوفيات: ٢/٣١٢ ـ ٣١٥، الوافي بالوفيات: ١٨/٣٧٩ ـ ٣٨٣، صبح الأعشى: ٦/٣٥٢، النجوم الزاهرة: ٦/٢٧٠، القلائد الجوهرية: ١/٣١٤ ـ ٣١٥، شذرات الذهب: ٥/١١٧.

وهو صاحب كتاب «معالم الكتابة ومغانم الإصابة»، وهو في فن الإنشاء وما يتعلق به، نشر في بيروت ١٩١٣م.

وفي هذه السنة توفي الشيخ الصُّوفي هندولا في السَّابع والعشرين من أحد شهري ربيع، ودفن بمقابر الصُّوفية.

وفي أواخر جُمادى الأولى توفي الشمس أحمد بن القوَّاس، والشَّريف البهاء كاتب الحكم، ودُفِنا بالجبل.

وفي أوائل رجب توفي الشيخ الفقيه الصَّالح أبو الحسن علي المَرَّاكُشي، المقيم بمدرسة المالكية، ودفن في المقبرة التي وَقَفها الرئيس خليل بن زويزان قِبْلي مقابر الصُّوفية، وكان أول من دُفِنَ بها.

وفي سادس عشر رجب توفي المحب اللَّبْلي، المعروف بالمغربي[1]، ودفن في مقبرة ابن زويزان أيضاً.

وفي سادس عشر رمضان توفي الفقيه ضياء الدين بن عبد الكافي، ودفن بالجبل.

وفي يوم عيد الفطر توفي التقي أبو عبد الله المغربي الجزائري، ودفن في مقبرة ابن زويزان، وقد كان معنا في المدرسة[2].

وفي مستهل ذي القَعْدَة توفي القاضِي عبدُ الرحيم الذي كان يحفظ «الوجيز»، ودفن بالجبل.

وفي سادس عشر ذي الحِجَّة توفي الجمال ابن القَفْصي المقرئ، ودفن بالجبل.

---

(١) هو محب الدين أحمد بن تميم بن هشام بن حَيُّون البهراني، له ترجمة في التكملة للمنذري ٣/ ٢٢٤ ـ ٢٢٥، تاريخ الإسلام (ت ٢٨١، وفيات ٦٢٥هـ)، سير أعلام النبلاء: ٢٢/ ٣٠١، العبر للذهبي: ٥/ ١٠٢، الوافي بالوفيات: ٦/ ٢٨١، النجوم الزاهرة: ٦/ ٢٧٠، نفح الطيب: ٢/ ٦٠٣، شذرات الذهب: ٥/ ١١٦.

(٢) أي المدرسة العادلية الكبرى، انظر ص ١٤ من هذا الجزء.

وفي هذه السنة توفي الفقيه عبد المحسن الحنبلي[١]، وموسى المَوْصِلي بمصر، ومعرفتنا شهوان السواق في الدَّقيق بدمشق، وخَلْقٌ كثير غيرهم، رحمهم الله.

١٥٤ وفيها في[٢] صَفَر عُزِلَ الصَّدْر بن البكري عن مشيخة الشُّيوخ بدمشق، ووليها العماد بن صدر الدين شيخ الشيوخ.

وفيها في شعبان توفي الأمين نفيس الدِّين، أبو محمد، الحسن بن علي بن الحسين بن الحسن بن محمد الأسدي، المعروف بابن البن[٣]، حكى عن جَدِّه الحسين وغيره[٢].

وفي سادس رمضان عُزِلَ ابن البكري أيضاً عن الحِسْبة، ووليها الرَّشيد بن الهادي[٤].

ولم[٥] يرحل من طريق الشام ركبٌ إلى الحجاز في هذه السنة[٥].

وفيها[٦] قَدِمَ قاضي البَلْقاء عبدُ الحقِّ المالكي في أوَّل رمضان، واجتمعتُ به[٦].

---

(١) هو عبد المحسن بن عبد الكريم بن ظافر الحُضْري، له ترجمة في التكملة للمنذري: ٣/ ٢٢٣ ـ ٢٢٤، وذيل طبقات الحنابلة: ٢/ ١٧٢، وشذرات الذهب: ٥/ ١١٨ .

(٢ ـ ٢) ما بينهما ليس في (ب).

(٣) له ترجمة في التكملة للمنذري: ٣/ ٢٢٧، مشيخة ابن البخاري: ١١ ـ ١٨، تاريخ الإسلام (ت٢٩٨، وفيات ٦٢٥هـ)، سير أعلام النبلاء: ٢٢/ ٢٧٨ ـ ٢٧٩، العبر للذهبي: ٥/ ١٠٤، الوافي بالوفيات: ١٢/ ١٦١، توضيح المشتبه: ١/ ٦١٨، ٩/ ١٢٦، النجوم الزاهرة: ٦/ ٢٧١، شذرات الذهب: ٥/ ١١٧.

(٤) انظر حاشيتنا رقم ٢ ص٧٣ من هذا الجزء.

(٥ ـ ٥) ما بينهما ليس في (ب) و(ك) و(ع) و(مس).

(٦ ـ ٦) ما بينهما ليس في (ب). وانظر أخباره في «مفرج الكروب»: ٤/ ٣٣٠ ـ ٣٣١.